

تعقيب

العربية الفصحى والنحو العربي :

الأستاذ أحمد خاكي باحث أديب عرفه قراء الرسالة منذ سنوات بما كان ينشر من بحوث ثقافية تمتاز بالعمق والإحاطة ، وهو الآن وكيل مكتب البعثات المصرية في لندن ، وله هناك نشاط ثقافي جدير بالجد والثناء . وقد كتب الأستاذ خاكي مقالا في العدد الخاص الذي أصدره مكتب البعثات عن التطورات والاصلاحات التي نالتها مصر من يدى الملك فاروق ، وقد عنيت جريدة « المانشستر جارديان » بالتعليق على هذا المقال تعليقا شاملا عرضت فيه لمسألة العربية الفصحى وإصلاح النحو العربي فقالت : « إن أكبر عائق في سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالي في تحقيق التقدم الاجتماعى في شتى النواحي ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة الدامية الدارجة ، مما جعل ملايين من الناطقين بالعربية أصلا لا يستطيعون فهم الفصحى إذا سمعوها من أفواه المتحدثين بها فضلا عن قراءتها وكتابتها ... وستكون لجهود العلماء المصريين في سبيل إصلاح النحو في العربية آثار بعيدة المدى ، ولكن من سبق الحوادث أن يتكهن المرء بالفائدة التي ستعود على النشء من إصلاح النحو العربى ، وفي وسعنا أن نقول مع ذلك إنه لن تتحقق الآمال المدفونة على هذا الإصلاح إلا بعد أن تقيم مصر نظاما للتعليم الابتدائى أوسع مدى وأحسن توزيعا من النظام الحالى ، ولا نزاع في أن النحو الجديد سيجعل التعليم بين مختلف طبقات الشعب عامكا ميسورا ... »

هذا ما قالته الجريدة الإنجليزية ، وهو كلام لا جديد فيه ، ولكنه تريد رأى طائفة من المستشرقين ، وطائفة من أبناء العربية يتلقون كل كلام وافد من الخارج بالتقديس والتسبيح والواقم أن مسألة إصلاح النحو العربى ، أو على التحديد تيسيره وتسهيله ، حقيقة تملأ أذهان العلماء من أبناء العربية ، وقد أثيرت هذه المسألة منذ سنوات وتناولتها الأقلام والأحاديث

بالمناقشة ، وكانت صفحات « الرسالة » مجالا لهذا ، وإذا كان القوم لم يصلوا حتى اليوم إلى طريقة مثلى ، فإن الأفكار متصلة بالوصول إلى هذه الناية ، وتعميم النفع بها على أوسع نطاق .

أما مسألة العربية الفصحى فلا زلنا نقول إنها ليست بمشكلة كما يتصورها المستشرقون وأتباعهم ، « وليست بعائق في سبيل نشر التعليم » كما تقول الجريدة الإنجليزية ، لأن للعربية الفصحى مراتب في التعبير ، فكما أن فيها المرتبة العالية الصاعدة ، فإن فيها أيضا المرتبة السهلة القريبة ، فثلا الصحف العربية تكتب بأسلوب عربى فصيح ، وهو أسلوب لا يتعذر فهمه على العامة وجمهور الشعب ، بل إننا كثيرا ما نجد رجلا أميا يستحضر قارئاً يتلو عليه الجريدة وهو منصت لما يتلو عليه ، فلا يجد أدنى مشقة في فهم ما يسمع وإدراك ما ينطوى عليه من التلميحات والإشارات . ومنذ سنوات مثلت في مصر روايات شوقي ، وهى بالعربية الفصحى العالية ، فأقبلت عليها جماهير الشعب إقبالا كبيرا ، وكانوا يفهمون قصائدها ومقطوعاتها فهما طيبا ، وكثير من العامة يحفظون مقطوعات كاملة وأبيات سائرة من هذه الروايات ويفهمون ذلك فهما لم يفهم عليه مدرس أو شارح .

إن الصلة بين العامة الدارجة والعربية الفصحى ليست بالبمد الذى يتصوره أولئك الناثرون على العربية الفصحى ، وإن الشعب ليس بمنقطع عن هذه العربية كما يخيل لأولئك الناس ، فإن بين العامة والفصحى صلة وثيقة في النطق وفي استعمال كثير من الألفاظ والتعابير ، ويمكن أن يكون الاختلاف التام بينهما في الإعراب ، وهو اختلاف لا تأثير له في هذه الناحية ، ولا يصح لباحث أن ينسى في هذا المقام أن القرآن الكريم وهو أفصح ما نزل في العربية يتلى على جموع الشعب ليل نهار ، وأن خطب الجمعة تلقى في كل أسبوع بالعربية الفصحى ، وأن عامة الشعب يؤدون صلواتهم ويرددون أورادهم وكلامهم بالأسلوب العالى الرفيع ، وأن خطباء المحافل في الوعظ والارشاد وفي التأييد والثناء ، وفي الدعايات الانتخابية والسياسية إنما يتحدثون إلى الشعب بهذا النمط من الأسلوب ، وكل هذا مما طبع ذوق العامة بطابع عربى ، وقرب المسافة في إدراكهم إلى حد كبير بين العامة بين العامة الدارجة والعربية الفصحى ... فكل الكلام الذى يثار في هذا

النفع والفائدة ، ولا يقبل على أى لون من ألوان الثقافة إلا إذا وجد فيه ما يجزى وما يفنى ...

هذه حقيقة يجب أن بقدرها القاعون على نشر الثقافة ، والذين ينتجون فيها ، ويظهر أن أصحاب التاجر كانوا أسرع فهماً وأحسن تقديراً لهذه الحال ، فقد أصبحوا يملنون عن بضائهم بأنهم من « أجود الأنواع وأرق الأصناف » لأنهم أدركوا أن الجمهور الآن إنما يطلب الجودة والرق ... نغير للقاعين بأمر الثقافة أن يدركوا هذه الحقيقة ، وأن يحملوها مدار المعاملة بينهم وبين الجمهور حتى لا يصدمهم الكساد الذى يحسبونه انصرافاً من الجمهور ، وما هو إلا البوار الذى يصيب كل بضاعة مزجاة

هنرى فوررد والشعر :

مات منذ قريب هنرى فوررد ملك السيارات ورجل الصناعة كما يصفه الصحفيون ، وقد كتبت عنه جريدة « نهضة العرب » التى تصدر فى المهجر كلمة بهذه المناسبة قالت فيها : « وكان هنرى فوررد عباً للشعر ، وخاصة للشعراء الذين جعلوا مثلهم الأعلى وحدة الإنسانية ونشدوا حكومة عالية تسهم الأمم كلها فى إنشائها ، وكان من مبادئه أن الثقافة والدين يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب »

يا لله ... هنرى فوررد العظيم كان يحب الشعر ؟

ولكن ماذا وهب مالك خزان قانون فى سبيل هذا الحب ، وماذا أجدى من ملايئنه فى تشجيع أولئك الشعراء الذين يدعون إلى وحدة الإنسانية ؟

ألا ما أكثر المحبين الذين ليس عندهم إلا كلمات الإعجاب والإطراء ...

« الجامع »

الشان ، ويصور مسألة المربية الفصحى على أنها ممضلة يجب التغلب عليها بالتدلى إلى العامية إنما هو كلام متهم وتصوير مبالغ فيه لا يقوم على إدراك الحقيقة ومعالجة الأمر بنزاهة ...

هل هى أزمة ثقافية :

تقول الأنباء الواردة من أمريكا إن « الفلم » السينمائى هناك يأتى أزمة كالتى فى مصر ، وإن رجال هذا الفن يجتهدون فى التدبير لمعالجة هذه الأزمة والتغلب على أسبابها حماية لهذا الفن من نكسة تضر بنموه وتقدمه ...

والسألة ليست مسألة الفن السينمائى لحسب ، بل إنها كذلك مسألة المسرح ، وهى أيضاً مسألة الكتاب ، وكل الوسائل التى تحمل إلى الناس ألوان الثقافة المختلفة . فهناك شكوى عامة من قلة الإقبال على هذه الوسائل والرغبة فى القراءة والاطلاع عما كانت عليه الحال فى الأيام الأخيرة ، أعنى سنوات الحرب الماضية وعندى أن هذه الحال الطارئة ليست مظهر أزمة ثقافية تدل على انصراف الناس وقلة رغبتهم فى الاطلاع كما يقدر بعض الباحثين ، ولكنها فترة يقف فيها الجمهور موقف التروى والتمهل للاختيار وإثبات النافع وما يجد فيه من الفائدة ما يوازى ، بل ما يزيد ، على ما يدفع فيه من الثمن ...

وهذه لا شك نتيجة طبيعية للحال التى شاهدها أيام الحرب ولستنا فيها الرواج العظيم فى جميع وسائل الحياة ، ومن بينها وسائل الثقافة المختلفة ...

فالجمهور أيام الحرب كان يتلهف على كل شئ ، ويرضى بأى شئ ، سواء فى غذائه أو فى ملبسه أو فى ثقافته ، فكان حبه أن يجد ما يطلب ، لا أن يختار فيما يطلب ، وعلى هذا طعم الخبز المخلوط بالرمل والحصى والتراب ، ورضى اللبس الخشن النليظ الذى لا يجزى فى تفصيل الثياب ، وتقبل كل ما يقدم إليه من ألوان الثقافة ما دام يجد فيه ترجية للوقت وتسلية عما يحيط به ، أما وقد زالت دواعى تلك الحال وضرورتها فإن الجمهور اليوم يتخير ، وإنه ليتروى فى هذا التخير ، فهو لا يرضى إلا بالرفيف الأبيض الصالح للغذاء ، ولا يطلب إلا الثوب الجيد اللامع للمقام ، ولا ينفد إلا الكتاب الذى يجزى فيه

ظهرت عن دار الرسالة

الطبعة الجديدة العاشرة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

يطلب من دار الرسالة ومن المكتاتب الشهيرة

وغننه ٤٠ قرشاً هنا أجرة البريد